

قالت الإسكيو سكان الشمال حيث الجليد الدائم وليس لديهم معدن يتخذون منه قدوراً ولا تراب يصنعون منه أو ابي خزفية. فإن التراب إذا استحكم جفائه أصبح صلباً صبوراً على احتمال النار. ومن لم يقدر على اقتناء قدر من نحاس اقناها خزفاً. وإذا فقد النحاس والخزف فكيف يمكنه طبخ طعام! والإسكيو كيف يصنعون؟

يتخذ الإسكيو مكان القدور جراباً من جند وفي هذا الجراب يطبخون ما يقتاتون به من لحم. فصرخ أحد الأولاد: كيف ذلك يا أمه! إنهم إذا أدنوا الجراب من النار احترق وإذا أبعده عنها لا يغلي الماء ولا ينضج اللحم.

قالت أمهم نعم. ولكن الإسكيو اهتمدوا إلى طريقة وافية بالغرض. وذلك أنهم يبحثون في شواطئ البحار عن مقادير من الحصى الصغيرة ثم يطرحونها في النار فتحس حتى تصل إلى درجة الحمرة فيتناولونها إذ ذاك ويضعونها في جراب الجند حيث يكون اللحم والماء. فلا تلبث الحصى أن تطفئ وتحدث حرارة قليلة في الماء. ثم يكررون العمل ويزاولونه المرة بعد المرة وبهذه الصورة تشتد حرارة الماء ثم ينضج اللحم.

ولم تصل أم الأولاد في حديثها إلى هذا المكان حتى سمعت صوت الجرس (البرنز) يرن على باب الدار يعن رجوع (الحاجة) فصرخت لأولادها هلموا بنا قبل أن تروا فترعم أننا أفسدنا ثمنكتها وشوشنا عليها نظامها. فتراكضوا جميعهم من باب المطبخ مسرورين ضاحكين ولأبيهم المقبل مصافحين ومعانقين.

المغربي

إذا كان المرء ساعياً في إصلاح داره يجب في الأكثر أن يسترشد بآراء من سبقوه إلى إصلاح دورهم ليضم اختياره إلى اختبارهم ويقتصر عليه مسافة عنه وربما أتى بعضهم وآراهم ما هو آخذ بسبيله فإن قدر أن يعمل بآرائهم كلها إن كانت صائبة وإلا فلا أقل من أن ينتفع ببعضها.

أولع الغربيون منذ حدث انقلابنا العثماني الأخير بالبحث في شؤوننا بعد أن كانوا يسوا من إصلاحنا فصار بعض خاصيتهم يزورون العاصمة وبعض الولايات ويكتبون تصوراتهم عن السلطة العثمانية وقيسون الحاضر بالغاير فبعضهم يستهزئ بنا وبانقلاباتنا وهم في الأكثر أرباب الأغراض السياسية وفريق يتوسط فينزج استحسان ما يتحنه باستهجان ما يستهجنه ومن هذا الفريق المسير مارتين هرقس أحد علماء المشرقيات في برلين. وهو من الذين قضوا سنين طويلة في سورية وعرف طابع المنكة العثمانية واشتهر بمعرفة العربية من تأليفه التي نشرها وهو يجيد الكتابة والفهم بلغتنا كأحد فضلاء كتابنا في أحوال المسلمين ولا سيما في البلاد العثمانية والتركمان الصينية.

زار هذا المشرق عاصمة السلطنة وبعض قواعد بلاد الروم أيلى فكتب كتاباً بالألمانية وصف فيه ما شاهده في رحلته وقد اطلعنا على زبدة من كتابه في مجلة العالم الإسلامي الفرنسية فآثرنا الإشارة إليها ثم نعلق عليها ما آخذناه به من حكمه على المسلمين والإسلام ليرى أهل هذه الديار ما ينصح لنا به جيراننا لإصلاح بيتنا قالت المجلة: أراد بكتابه أن يعرف ما رآه وما سمع به مدة مقامه في البلاد العثمانية فأورد ما انتهى إليه من المواد على علته ولم ينظر فيه نظرة أخيرة ومهما يكن فإن كتابه يتنى بأمعان وفائدة لأنه من أفيد ما ظهر من الأسفار على البلاد العثمانية حديثاً وربما ظهرت على كلام المؤلف

رشاشة من سوء النظر في العواقب ولكن ما لا مزية فيه أنه كفو في الموضوع الذي خاض غماره لا غرض له بل هو نظار جدير أن يحل كلامه موقع الاعتبار.

ربما قيل للمؤلف أن مقامك قليل في تلك البلاد فكيف ساع لك أن تحكم بهذه السرعة فقد رأينا من يطينون مقامهم في بند يبالغون بمثالة المسائل الرسمية والحياة الإدارية متسرعين ويطرحون النظر في حياة السواد الأعظم من العامة فيفوقهم كثير من المسائل الاجتماعية ذات الشأن العظيم على أن السائح قد يلاحظ هذه المسائل أحسن من المقيم. وهناك اعتراض آخر وهو أن المؤلف قال إن كتابة عبارة عن سلسلة رسائل غير سياسية والنظر فيها تتجنى له السياسة من أعطافها وأطرافها لأول وهلة. ويرد هذا الاعتراض بما هو معروف عن المسوهرتمن من عدم التحزب لفئة وأنه يحاول أن ينصف الكل فهو لا يبغيض أحداً ويرمي إلى أن تعمل كل أمة وكل جماعة وكل شخص في خدمة المدنية والحضارة ما ساعدتها أسبابها. فقد رأيناها يأسف عندما يرى العنصر الإسلامي وهو ممن يحبه لا يسير إلى هذا الغرض لأن الجنع بين الشريعة وبين مطالب الحياة الحديثة لا يخلو من تناقض. وهو يرى أن فكر الارتجاع في الأمستنة والمدن الكبرى في الولايات غير موجود ولكن إذا انقضت أيام السياسة الحميدية فإن نتائجها ما انقضت.

قالت اللجنة ولو قلنا في العام الماضي أن على الحكومة العثمانية إذا أرادت الاستماع بالبدور التي يحويها القانون الأساسي في مضايده أن تربي الأمة تربية دستورية ديمقراطية فهذا مما تشدد حاجتها إليه. أيد المسوهرتمن هذا الرأي فقال أن الانقلاب العثماني لا يشبه الانقلاب الفرنسي فقد كانت الأمة في فرنسا تتبع القائمين بالثورة متحسة وتشاركهم في آرائهم أما الشعب العثماني فلا يزال على آرائه القديمة ولذلك أرادته

المؤلف أن يرجع عنها وأقسم عليه أن ينظر للأمور نظراً صحيحاً لأن ارتفاع كلمة العثمانية معلق على اعتدالهم ويمكن أن يكون للنساء العثمانيات عمل عظيم في النهضة الوطنية.

وقد درس المسوهرتمن حالة الاتحاديين السياسية في سلانيك ولا سيما تأثيرات طائفة الدعة وفيها وهم شعب إسرائيلي دا — بالإسلام. وجاء الأستاذان يبحث عن كل شيء من سياسة ودين وأدب وصحافة وحياة اجتماعية وعقنية واقتصادية. وانتقد الإسلام انتقاداً شديداً فقال أنه يراه عقبة في سبيل الإصلاح فلا رجاء معه لتنظيم الإدارة. والطرق الدينية في الإسلام تختلف عن الطرق الدينية في النصرانية لأن لها تأثيراً سيئاً وأن ما يظهر من أمرها يفسد الدين ويقلل من اعتباره. فأهل الطرق البكداشية والملامية والمولوية والنقشبندية والقادرية على اختلاف أسمائهم. هم خطر على الأمة مهما كانت مكانتهم وإن اتفقوا مع أهل التربية الحديثة من العثمانيين وهؤلاء ملاحدة يعرفون كيف يتظاهرون بالدين واحترام الشريعة. ورجال الدين على الجملة هم قوة عاملة محترمة وإن قلّ التسامح فيهم.

يقول المؤلف أن تسعة أعشار رعايا المملكة العثمانية متعصبون فالأكراد أكثر تعصباً من غيرهم ويقل تمسك العرب بالدين في باطنهم فهم أقل تعصباً وليس المسلمون من الألبانيين من التسامح على جانب عظيم وأهالي البوسنة الذين انفصلوا حديثاً عن المملكة العثمانية موغلون في التعصب وأدعياء للغاية. ومن الأسباب التي تساعد على بقاء الحية الدينية مظاهر شهر رمضان للنوعه فالدين عليه الحكومة ويصعب الآن أن يكون من الأعمال الخاصة بالنفس.

تدخل الأفكار الغربية البلاد العثمانية ببطء فالاشتراكية التي ينشرها البنغاريون خاصة في البلاد ومنهم رئيس منتدى سلانيك حيث تقرأ المطبوعات الفرنسية والألمانية في هذا الموضوع ولهم أشياء من الروم وتصدر في أزمر جريدة اشتراكية رومية كما تصدر جريدة إسلامية اشتراكية وإذا كان قراؤها على ما هو معلوم من حالتهم صعب أن يكون ارتقاؤها سريعاً بين المسلمين. فليس في البلاد العثمانية طبقة وسطى كما في سائر ممالك أوروبا.

ويتيسر للمرأة العثمانية أن تكون ذات نفوذ فقد رأيتها في سلانيك ترقى بسرعة خارقة للعادة. ولكن ارتقاءها في البلاد الأخرى بطيء جداً. ويمكن أن يقال أن حالة المرأة العثمانية أحط من المرأة المسلمة في روسيا التي تستعج بحرية عظيمة فتيسر لها أن تدرس في المدارس الثانوية وهم يهتمون بما يجري في آسيا الوسطى والشرق أكثر من كل بند سواه وربما كان المسلمون في روسيا غالباً أثقب أذهاناً وعقولاً من حكامهم الصقالبة أه. هذا منخص كتاب الباحث الألماني وفيه الجيد ولكن فيه مغامر كثيرة لا نحب أن يفوتنا النظر فيها نعرضها على المؤلف وعلى القارئين بحذبه وأولها وهو ما كنا نرجو أن لا يقع فيه أمثال الأستاذ هرتس قوله أن الجمع بين الشريعة وبين طنب الحياة الحديثة لا يخنو من تناقض وأن الإسلام عقبة في سبيل الإصلاح ولعل المؤلف يقصد من ذلك الشريعة النافذة في بلاد الياسمين اليوم وبعضها مما يخالف الأصول الصحيحة وهدى الشارع وأصحابه وتابعيه والأئمة المهديين والعلماء العالمين.

لا جرم أنه دخلت بدع وخرافات وموضوعات على الإسلام عبثت بحمالة وكادت تضع به أصوله لو لم يقيض له في كل زمن مجددون ومصنحون يدعون الأمة إلى الوقوف عند

حد الكتاب والسنة وطرح الزوائد التي تضر ولا تنفع وأكثرها مما تسرب إلى الدين من الوثنية الأصنية وسرى إلى الإسلام كما سرى إلى اليهودية والنصرانية من قبل. فالإسلام دين التوحيد وهو أكثر الأديان تشديداً فيه وحرصاً عليه ومع هذا نرى بدعاً دخلت عليه تكاد تقربه من الوثنية لولا سلامة الأصول المحررة المعبرة وقيام الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر في كل مصر وعصر.

لم يعهد المسلمون أيام كانوا يدينون بالإسلام الحقيقي أن دينهم كان مانعاً لهم من الرقي الاجتماعي والأدبي والعلمي والسياسي فالدين الذي جعل من أموال الأغنياء صدقة للبيّاسين والمعوزين قد فرض عني متحنيه ما يستلزمه بالتضامن والتكافل فلم تنشأ فيه الاشتراكية المتطرفة التي قتمر لها أعصاب المفكرين في الغرب اليوم. والدين الذي يأمر كتابه في الزواج بقوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وأن ختم أن لا تعدلوا فواحدة إلى أن قال ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قد قتل من العهر والفجور وحفظ نظام البيوت أحسن حفظ وراعى حقوق المرأة ومن سنة الطلاق لزوجين لم يتأت أن يتعاشروا بالمعروف ليس فيه ما يؤخر المدنية ويحول دون سعادة أهله ولكن خفف بعد السنف خفف أضاعوا الأصل والفرع وانتهكوا حرمة الله وجهنت الأمة فأغنطت حجاب المرأة بعد أن كان رقيقاً معقولاً حتى منع الرجال من الاختلاط بينات حواء فنشأت عن ذلك مضار ومنافع والمضار أكثر ولو وقف الحجاب عند حد ما رسمته الشريعة من أن لا يدي النساء زيتهن إلا لبعولتهن ويضربن بخنصرهن عني جيوبهن لكان نظام البيوت في المسلمين اليوم أرقى مما هو وخلصوا من معاكسة

الطبيعة في رغائب النفس والتفهم الجسنان أكثر من الآن ولما أصبحت حياة رجالنا وحياة نسائنا لا تخلو من نقص وغفص.

والدين الذي يأمر صاحبه أصحبه أن يتعلموا لغة اليهود والحبشة ويبحث على تفهم أسرار الكون من طرقها حتى لم يأت على الإسلام قرنان ونصف إلا وقد تناول أهله بمعونة الخلقاء وما عرف من علوم البشر وتداولوه بينهم وصغوه بصفتهم حتى أنشؤا لهم مدنية لو لم يكتب لها القيام لانقطعت من العالم سلسلة علوم المصريين واليونانيين والرومانيين والفرس والهنود ولاضطر أهل المدنية الحديثة أن يرجعوا مبتدئين بالعلوم بحيث لا يتيسر لهم تأسيس المدنية التي أسسوها في ثلاثة قرون إلا أن تؤسس في عشرين أو ثلاثين قرناً - إن ديناً هذا شأنه وهو لم يمنع أيضاً من تعلم العلم والفلسفة ليس من الأديان التي لا تنطبق مع روح هذا العصر.

والدين الذي انتشرت كلمته في الآفاق وسلاحه الهداية والرفق بالمستضعفين وحمية العاجزين وجهاد المنافقين والخائنين حتى دانت به أمم كثيرة عن رضى هو دين لم يخرج عن المعقول من استتباع الناس وإرشادهم ومعظم الفتح التي ينتقدها عليه الناقدون هي للاستعمار ومع هذا لم يحدث فيها من الولايات ما يحدث لأكثر دول التمدن الحديث عندما قم أن تستعمر قطراً من أقطار الشرق.

وإننا لنرى الغربيين في أحكامهم على الشرق يخالفون ما يجرون عليه في بلادهم فترى الدول الراقية منهم في آدابها هي التي تحافظ على دينها فقد رأينا ألمانيا قد احتفظت بالنصرانية المشربة أي البروتستانتية ولم تعقها عن سيرها في مدارج الكمال العلمي والصناعي والاجتماعي وكذلك نرى انكثرا تفرص كألمانيا على تقاليد القديمة حتى عد

الاجتماعيون من جهة ارتقائهم أنفسهم لم ينبذوا الدين كما نبذوا رجال فرنسا فكان منه الولايات حاضرها ومستقبلها. وما نظن النصرانية لو أنصفا أكثر انطباقاً على قوانين العلم من الإسلام.

ولو قال الأستاذ هرقمن أن حالة المسلمين اليوم لا تنطبق على الإسلام أمس ولذلك يصعب قيام الإصلاح بينهم لأصاب الغرض بعض الشيء فقد ذكر الطرق الدينية التي تفسد الدين وتقلل من اعتباره في الأنظار ولو أنصفا ونظرنا إلى من أسسوا تلك الطرق لرأيانهم على جانب من الأخلاق الفاضلة والتدين الحقيقي وأكثرهم كانوا من جهة علماء الإسلام العاملين لا المعطلين الجامدين.

وهذا الجشود لم يحدث إلا في القرون المتأخرة بصنع أناس لأخلاق لهم من الملوك أملاوا لرؤساء المذاهب والطرق ليتخذوهم ذريعة إلى السياسة كما اتخذ الشاه عباس الصفوي من مذهب الشيعة مسنداً له في سياسته فاستعمل العلماء واسطة للتفريق بين أجزاء الأمة ونشط كل ما أملاه التعصب الذميمة وسكت عن كل قصور وكذلك فعل السلطان سليم العثماني وقتل من الشيعة أربعين ألفاً في وقت واحد في الأناضول بحجة دينية والحقيقة أنه لا يقصد غير السياسة.

فالملوك المتأخرون استعملوا الدين ذريعة إلى الدنيا وعثوا أسراً بحرم الله وأدخلوا في الدين ما لبس منه وجعلوا العامة مسيطرين على الخاصة ففسد النظام وعاق ذلك سير الإصلاح في القرون الجامدة وإلا فأبى مانع اليوم يمنع العثمانيين ولا مينا المسلمين منهم من الرقي وقد ارتفعت أكثر الحواجز والقيود بفضل القانون الأساسي الذي لا يناقض أصلاً من

أصول الشريعة وإذا رأينا بعض تناقض وجب علينا أن نفسر الشريعة لتطبيقها على العلم كما يأمر بذلك العلماء الراسخون.

أما اغتباط الأستاذ هرقمن بحال المسلمات في روسيا من أنه يباح لمن الدرس في المدارس الثانوية والعالية مع الفتيان فهذا على إطلاقه لا يصح أن يكون حجة على المسلمات العنانيات والاختلاط إلا إلى حد محدود لا يخلو من مفاسد يعرفها علماء الأخلاق في الغرب وهم منها أكثر شكاية منا ويرجى بفضل الأفكار الغربية التي تدخل ببطء إلى بلادنا كما قال المؤلف أن تكون بعد اليوم حال المرأة المسلمة أكثر انطباقاً مع المدنية والعقل والشرع فليس كل ما نراه هو ما كان عليه السلف الصالح كما قلنا.

وإن معظم ما نشكو منه من أمراضنا الاجتماعية ليس الدين منشأؤه بل الجهل بأمور الدنيا فيتبعي لنا قذيب نسائنا وتعريضهن على الأصول الدينية والمدنية ورجلنا كذلك وعندئذ لا يرمي مثل المسيو هرقمن أهل هذا الدين كنه بما رماهم به ونحن نرى اليابان وهي الدولة الوثنية من أرقى دول الحضارة الحديثة ولم تعقها وثنتها عن ذلك ونظن المؤلف يوافقنا على أن الإسلام بما دخله من خرافات المتأخرين أكثر اتفاقاً مع المدنية من وثنية يابان.

فحياة الأمم بالدين الذي لا يمازجه تعصب أكثر منها بالانحلال من كل دين وأمة لا قديم لها يصعب عليها الارتفاع بحديثها كما فعلت فرنسا فأرادت نبذ كل قديم وإحلال الحديث مكانه فخسرت الصفتين أو كادت ولو ربي شعبها تربية دينية خالصة مع ما يلقه من التربية العصرية لما شكت فرنسا من زيادة العهر فيها وقلة نفوس سكانها سنة عن سنة وإنما لنعقد أن قلة التسامح الذي نراه في الجامدين من أهل الطرق وأدعياء

الدين يقل جداً من السنطة يوم نعلمهم أو نعلم أبناءهم التعليم الوسط المنظم دع عنك العالي وحياتنا مناة باستارتنا ولا جهود إلا مع الجهل. وطريقة دينية على أصولها يدخلها النشوء والإصلاح بحسب سنة النمو والتدريج أنفع من طريقة دنيوية لا تتشربها نفوس من تعرضها عنهم ولا تناسب تقاليدهم وأوضاعهم.

### الشعري

إذا غابت الشمس ساعة في هذه الأيام سرح طائر نظرك على منفسح الأفق تر كوكباً متوقداً يرتفع شيئاً فشيئاً بأبهة وجلال وهو يزيد تألقاً كلما زادت الظلمات حلكة ويرتفع في القبة الزرقاء في جهة الجنوب الشرقي. فهذا الكوكب هو الشعري العبور وهي التي ترصع جهة الرقيع بهذا القصر البديع بحيث يصدق ما قال فيها عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر وهو من ظريف ما قيل فيها:

واعترضت وسط السماء الشعري ... كأنها ياقوتة في مدري

وقال فيها ابن المعتز:

شربتها والديك لم يتبه ... سكران من نومته طافح

ولاحت الشعري وجوزأؤها ... كمثل نرج جره رامح

وشبه أبو نواس الدرهم بها فأنشد:

أنعت صقراً بغلب الصقورا ... مظفراً أبيض مستديراً

تخاله في قده العبورا

فهذا الكوكب لحسته عبده قوم من العرب في الجاهلية وإليه الإشارة في سورة النجم وإنه هو رب الشعري وكان العرب قد أخذوا هذه العبارة عن جيروانهم المصريين الذين كانوا